الموقف الفرنسي من المسالة الأرمنية في ضوء الصحف التركية

جمال كمال إسماعيل كركوكلي*

ملخص البحث

يحاول البحث تسليط الضوء على الموقف الفرنسي من المسألة الأرمنية من خلال قراءة مفصلة لبعض الصحف التركية التي تعبر، بشكل أو بآخر، عن وجهة النظر الرسمية والشعبية في تركيا. كما اظهر البحث انعكاس الموقف الفرنسي على العلاقات التركية–الفرنسية والمصالح الفرنسية في تركيا بصورة عامة.. ويقدم البحث محاولة للوقوف على طبيعة المشكلة الأرمنية وابعادها ومن ثم جذورها التاريخية منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر

مقدمة

شكلت الدولة العثمانية مصدر تأثير مباشر على أوربا خلال المراحل الأولى من تاريخها، الآ أنها في مراحلها الأخيرة خضعت للتأثير الأوربي على نحو بدأت فيه أوربا تفكر في اقتسام الدولة العثمانية التي أصبحت تعيش حالة من الضعف الواضح الذي مثلت فيه الاختلافات القومية والدينية أحد مفاصلة الرئيسة.

استمر العامل الأوربي يمارس تأثيره على السياسة الخارجية التركية خاصة بعد قيام الجمهورية على يد مصطفى كمال أتاتورك عام 1923 والى الوقت الحاضر، اذ تسعى تركيا وبكل ثقلها الى الانخراط في المجموعة الأوربية، غير أن هناك العديد من المسائل التي تحول دون تحقيق الحلم التركي، أبرزها المشاكل التي تعاني منها تركيا على المستويين الداخلي والخارجي، اذ تعد المسألة الأرمنية أبرز هذه المشاكل سيما وأنها تلقى صدى من قبل العديد من الدول المؤسسة للاتحاد الأوربي وفي مقدمتها فرنسا.

هذا البحث يحاول تسليط الضوء على الموقف الفرنسي من المسألة الأرمنية من خلال قراءة مفصلة لبعض الصحف التركية والتي عبرت بطبيعة الحال عن وجهة النظر الرسمية

* مدرس، كلية العلوم السياسية، جامعة الموصل

والشعبية في تركيا، كما أظهرت انعكاسات الموقف الفرنسي هذا على العلاقات التركية–الفرنسية والمصالح الفرنسية على وجه العموم، وللوقوف على طبيعة المشكلة الأرمنية وابعادها أرتى البحث دراسة جذور المشكلة منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

يعد الأرمن من أقدم الشعوب التي سكنت مناطق القفقاس والأناضول منذ عصور ماقبل الميلاد حيث خضعوا لسيطرة الدولتين البيزنطية والفارسية، وكانت الوثنية الديانة الرئيسة للأرمن حتى عام 302 م حين أعلن ترتياد الثالث المسيحية ديناً للدولة التي أنشأها. وبالرغم من فتح المسلمين لأرمينيا [1] بداية القرن الثامن الميلادي الا أن تاريخها لم يشهد حالة الاستقرار بسبب موقعها على مفترق قارتي آسيا وأوربا وتسابق الدول في السيطرة عليها.[2]

أصبحت أرمينيا مسرحا للصراع بين العثمانيين والفرس خلال العصر الحديث، اذ سيطر العثمانيون بداية القرن السابع عشر على اقليم ارارات فيما حكم الفرس الجزء الشرقي من أرمينيا مما دفع الأرمن الى الاستنجاد بروسيا كونها زعيمة للكنيسة الشرقية حيث تمكنت القوات الروسية عام 1722 من هزيمة الفرس في مناطق بحر قزوين واقصاء النفوذ العثماني الى حدود آسيا الصغرى واحتلال جورجيا عام 1828 حتى أصبحت أرمينيا الشرقية جزء من الدولة الروسية بموجب معاهدة تركمان جاي في حين بقي ما عرف بأرمينيا الغربية تحت السيطرة العثمانية. [3]

عاش الأرمن تحت الحكم العثماني ضمن التقسيمات الادارية المتعارف عليها الآن في الجمهورية التركية وهي: أرضروم، ارزنجان، آغري، وان، حكاري، تبليس، موش، سييرت، ديار بكر، ماردين، آلازاغ، ملاطيا، بنكول، سيواس، آماسيا، توقات، في حالة من الوفاق والصداقة، فمنذ فتح القسطنطينية عمد السلطان محمد الفاتح (1451–1481) الى تعين المطران (بروس) بطريركاً على الطائفية الأرمنية ومنح الأرمن عدد من الامتيازات وحرية العقيدة والعمل، وانصرفوا الى الزراعة والتجارة والصيرفة والصياغة بعد أن اعفوا من الخدمة العسكرية، وكان للأمراء الأرمن ونبلائهم دور مهم في تاريخ الامبراطورية العثمانية، واصبح لهم ثقلا في الحياة الاقتصادية والثقافية و الصحية وشغلوا مناصب مهمة في أجهزة الدولة. [4] ويكفي هنا أن نشير الى التقرير الذي قدمه السفير الفرنسي الجنرال (سباستياني) الى نابليون بونابرت في 12 من تموز 1808 والذي أكد فيه على الدور المتميز للأرمن في الدولة العثمانية حيث ذكر: " يوجد في استنبول 40 ألفاً من الأرمن، أما في الأناضول وفي المنطقة التي كنا ندعوها سابقا بـ (أرمنستان) فيعيش

مايقرب من نصف مليون منهم، وهم جميعاً راضون عن أوضاعهم، ومنهم أغنياء كثيرون في استنبول، ومعظم العائلات التركية الأصيلة قد تركت ثرواتها في أيدي هؤلاء لادارتها واستثمارها، ومنهم أصحاب بنوك يقدمون القروض للدولة بالربا ... ولأوضح هنا بأن بعض هؤلاء الأرمن من الكاثوليك، والبعض الآخر من البروتستانت، وهم مطيعون جداً للدولة، ويحملون للأتراك حباً كبيراً وأنا متأكد أنهم سوف لن يأبهوا لأي احياء سياسي، ومن المؤكد أنهم سوف لن يشتركوا في أية حركة ضد الادارة العثمانية، ولا يعدم من بينهم من يحمل عاطفة لفرنسا، ولكن هذه العاطفة ليست من العمق بحيث تنسيهم أنهم عثمانيون، ولكن اذا أحتلت فرنسا في يوم من الأيام احدى المناطق التي يسكنونها، فسيبذلون قصارى جهدهم لخدمة جلالتكم بكل اخلاص" [5]

شكل الأرمن احدى الحلقات المهمة لدى الدول الأوربية التي بدأت تفكر بضرورة تفسيخ أوصال الدولة العثمانية، فأخذت وفي مقدمتها روسيا باستثمار المسألة الأرمنية بعد أن تأججت في مناطق البلقان قضايا التحرر القومي من أجل اتاحة الفرص للتدخل في شؤون الدولة العثمانية، وقد تعزز هذا الاتجاه بنشاط البعثات التبشيرية الأوربية التي اخذت تبث روح الكراهية للأتراك بين صفوف الأرمن واستخدام وسائل الاعلام لمهاجمة الأتراك واظهار الأرمن بمظهر الضحايا، ومالبثت ان تحولت هذه الوسائل الى ارسال بعثات عسكرية لتدريب الأرمن على القيام بأعمال ارهابية وحرب العصابات ضد المؤسسات العثمانية. [6]

تطورت المسألة الأرمنية خلال فترة حكم السلطان عبد الحميد الثاني (1876–1909) و بدأت تأخذ مداها على الصعيد الدولي بفعل عوامل داخلية وخارجية، حيث قام الأرمن بتأسيس أحزاب وجمعيات سرية وعلنية داخل وخارج الدول العثمانية، تهدف الى اقامة دولة أرمنية مستقلة عن طريق الكفاح المسلح، أبرزها حزب الهنجاك Hunchaks الذي تأسس في سويسرا وحزب الطاشناق Dashnaktsutiun في تفليس، وقام هذين الحزبين بفتح فروع في العواصم الأوربية كباريس ولندن بغية كسب الرأي العام هناك الى جانب قضيتهم. [7] وعند قيام الحرب الروسية–العثمانية في نيسان 1877، علق الأرمن آمالاً كبيرة على انتصار روسيا، فبادروا الى تقديم مختلف المساعدات للروس كان أبرزها

اعلان العصيان على الدولة العثمانية والتحاق أعداد كبيرة من الأرمن ضمن صفوف القوات الروسية حيث انتهت هذه الحرب بعقد معاهدة سان ستيفانو في 3 من آذار 1878 والتي تضمنت أحد بنودها على احتفاظ روسيا بالمناطق التي سيطرت عليها في أرمينيا الغربية وفرضت على الدولة العثمانية اجراء الإصلاحات الضرورية في أرمينيا الغربية وضمان سلامة الأرمن. [8]

وخلال مؤتمر برلين الذي عقد أثر التوقيع على المعاهدة المذكورة في 13 من تموز 1878 طرح البطريرك الأرمني باستنبول مشروع تشكيل دولة أرمنية مستقلة في الولايات الست وبرعاية روسية، الا ان المؤتمر اقتصرت قراراته على اجراء الإصلاحات في المدن التي تسكنها أغلبية أرمنية [9] وهكذا أحبطت معاهدة برلين آمال الأرمن، وقد علق أحد المفاوضين الفرنسيين بقوله: " ان الدبلوماسية التي من طبيعتها اعتماد انصاف الحلول لم تأت في أي يوم من الأيام سوى بأعمال ناقصة، مشوهة مؤقتة ". [10]

قام الأرمن خلال الفترة (1878–1905) بالعديد من التمردات المسلحة بحجة عدم التزام الحكومة العثمانية بتعهداتها في مؤتمر برلين وبغية جلب انتباه الدولة الأوربية نحو قضيتهم والضغط على العثمانيين لكي يتنازلوا عن الولايات الشرقية لهم، وكان أوج نشاط الحركة الأرمنية قد تجسد بمحاولة اغتيال السلطان عبد الحميد في 21 من تموز 1905 على يد أعضاء حزب الطاشناق الآ أن المحاولة باءت بالفشل، وقد نجم عن هذه الأحداث مقتل آلاف الأشخاص من الأتراك والأرمن [11]

تجددت تطلعات الأرمن نحو الاستقلال خلال الحرب العالمية الأولى 1914–1918، فقد أعلن أرمن القفقاس ولائهم لروسيا التي تعهدت بتحرير الأرمن في الأناضول ومنحهم الاستقلال [12]، حيث ساهم أرمن القفقاس بنحو 200 ألف مقاتل الى جانب القوات الروسية وشكلوا سبع فرق من المتطوعين لتحرير الأرمن في الأناضول وتحريضهم للقيام بالثورة على العثمانيين ونقل أسلحة ومعدات عسكرية اليهم، وبذلك نشط التمرد الأرمني في الأناضول في اثارة القلاقل والدعاية المضادة للحكومة العثمانية والقيام بأعمال التمرد، فضلا عن القيام بأعمال التجسس لصالح السفارات والقنصليات الروسية والبريطانية والفرنسية والايطالية التي كانت تسهل نشاطاتهم التخريبية والتجسسية، كما وصلت معلومات الى المخابرات العثمانية بأن المتمردين الأرمن يخططون لثورة شاملة في الأناضول [13] وفي باطوم قام الأرمن بالتعاون مع اليونانيين والروس بتشكيل لجنة لتنسيق أعمال التخريب وتهريب الأسلحة والتجسس في ساحل البحر الأسود وفي

الأناضول وأصبحت كنائسهم ومدارسهم وبيوتهم مشاجب للأسلحة والذخيرة والمتفجرات، فضلا عن انتهاز العسكريين الأرمن العاملين في الجيش العثماني لأية فرصة سانحة للهرب والالتحاق بصفوف الجيش الروسي [14]

كان للأرمن الفضل في ترجيح كفة الروس في الجبهة الشرقية خلال عامي 1915–1916، حيث قاموا بالهجوم على المخافر العثمانية ومؤخرة الجيش العثماني واجتاحوا القرى التركية والدوائر الرسمية في مدينة وان [15] حتى أعلنوا تأسيس دولة أرمنية في وان وبهذا الصدد يعلق المؤرخ التركي يوسف حكمت بايور على الأعمال التي قامت بها الأرمن في هذه المدينة قائلا: " ان الأعمال التي قام بها الأرمن في وان لايمكن تصورها فقد فاقت حتى الأعمال التي ارتكبها النازيون الألمان ضد اليهود ". [16]

ازاء النشاط الأرمني هذا اتخذت الحكومة العثمانية بداية شهر حزيران عام 1915 العديد من الإجراءات للحد من نشاطهم والحيلولة دون انضمامهم الى جانب القوات الروسية، منها تجريد الأرمن من السلاح والحاقهم بأعمال السخرة في مؤخرة الجيش العثماني وتهجير الأرمن من مناطق الجبهة الشرقية الى العراق [17]، وغلق فروع حزبي الطاشناق والهنجاك في استنبول والمدن الأخرى والقاء القبض على قادتهم وتقديم المدانين منهم الى المحاكمة العسكرية حيث القي القبض على أكثر من ثلاثة آلاف أرمني في استنبول وحدها بتهمة التجسس والتخريب ، ثم بدأت السلطات العثمانية بعملية ترحيل جماعي واسعة للأرمن، مما عرض الأرمن لهجوم قطاع الطرق الذين قاموا بعمليات القتل الجماعي وبعلم من السلطات العثمانية ان لم تقم بتقديم المساعدة وتسهيل عمليات قطاع الطرق. [18]

عرفت الاجراءات التي اتخذتها الحكومة العثمانية تجاه الأرمن لدى العديد من المؤرخين خاصة الغربيون منهم بـ (المذابح الأرمنية)، حيث اختلفت الإحصائيات الواردة عن خسائر الأرمن التي تقدر بمئات الآلاف من مؤرخ لآخر، [19] فالتحقيق الفرنسي الذي جرى عام 1920 يشير الى ان الأرمن قد تكبدوا خسائر بالأرواح بلغت نصف مليون شخص [20] وهنا تولى المؤرخون الأتراك الدفاع عن موقف الدولة العثمانية وتبرئتها من المذابح المنسوبة لها من خلال الوثائق التي تدعم وجهة نظرهم وتدين خيانة الأرمن

لصالح أعداء الدولة العثمانية وأبرز مثال لذلك اعتماد المؤرخ التركي سعدي كوجاش على إحصائيات المتطوعين الأرمن في الجيوش الروسية والفرنسية والوثائق التي تضمنت المهام الموكلة للأرمن من قبل القيادة الروسية خلال الحرب كما اورد في هذا الصدد رسالة كتبها أحد المتطوعين الأرمن آنذاك والتي يذكر فيها أسباب اندفاعه بالقول: " التحقت لمحاربة الأتراك لسحق رؤسهم" [21]

دخلت المسألة الأرمنية مرحلة جديدة من مراحل تطورها بعد قيام الثورة الاشتراكية في روسيا عام 1917 والتي أنسحبت أثرها القوات الروسية من الأناضول خاصة بعد توقيع معاهدة بريست ليتوفسك في 3 من آذار 1918، مما وضع الأرمن في مواجهة القوات العثمانية دون دعم خارجي وبالرغم من ذلك فقد تمكنوا من الحاق الهزائم بالجيوش العثمانية واعلان استقلال أرمينيا في 28 من أيار 1918. [22] ونيل اعتراف العثمانيين بها بموجب معاهدة باطوم في 4 من حزيران 1918، حيث شملت دولتهم مدن أردهان وسيفان ونخجوان وشميما ديزين والكسندر بول. [23] غير أن ذلك لم يكن خاتمة الطموحات الأرمن الذين انتعشت آمالهم مجدداً بعد أن سيطر الحلفاء على مدينتي استنبول وأزمير أثر خسارة الدولة العثمانية في الحرب، اذ حاولوا الثأر من الأتراك خاصة في المناطق الجنوبية الشرقية من تركيا بتوجيه من منظماتهم القومية ورعاية البطريركية الأرمنية وبدعم من بعض ضباط الجيش الانكليزي، فأخذو يعيثون فساداً في تلك المناطق وينكلون بسكانها المسلمين تمهيداً لضمها الى الدولة الأرمنية[24]

حاول الأرمن تأكيد استقلالهم وضم أراضي جديدة لجمهوريتهم في مؤتمرات التسوية التي عقدت بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وبعطف من الحلفاء، اذ تمكنوا من ضم مدن الأناضول ذات الأغلبية التركية وهي طرابزون وأرضروم وموش ووان، [25] غير أن ذلك لم يستمر طويلاً اذ سرعان ماواجه الأرمن مقاومة الحركة الكمالية بزعامة مصطفى كمال أتاتورك الذي عقد العزم على اقصاء الأرمن من المدن التي سيطروا عليها من خلال قائده كاظم قره بكر الذي تمكن من السيطرة على قارص، في الوقت الذي تحركت فيه الحكومة السوفيتية للسيطرة على أرمينيا واحتلال يريفان واقامة حكومة شيوعية فيها، هذه الحكومة تولت عقد الصلح مع الحركة الاستقلالية التركية في 3 من كانون الأول 1920 والتي عرفت بمعاهدة كومرو Gümrü تنازلت بموجبها للأتراك عن معظم أرمينيا الغربية بما فيها مدن قارص وأردهان [26] الى ان عقدت معاهدة لوزان عام 1923 والتي

أغلقت مقرراتها الملف الأرمني ثم تحولت أرمينيا الى جمهورية اشتراكية خاضعة للأتحاد السوفيتي [27] وبذلك فقد طويت صفحة من صفحات الصراع التركي الأرمني.

بعد مرور مايقرب من نصف قرن، بدأت صفحة أخرى من صفحات الصراع وتحديداً مع بداية عقد السبعينات من القرن الماضي، حيث تجددت مطاليب الأرمن في الولايات الست ومطالبتهم لتركيا بتعويضات مالية قدرها 50 مليون جنيه استرليني[28] وادانة الأتراك بالحوادث التي وقعت خلال الحرب العالمية الأولى، ومن أجل تحقيق أهدافهم هذه فقد اتخذ النشاط الأرمني خلال هذه الفترة اسلوبين رئيسيين هما.

1. الاسلوب العسكري

نشط الأرمن في تشكيل منظمات سرية كـ (الجيش السري لتحرير أرمينيا–أسالا) و(منظمة تحرير أرمينيا) و (المقاومة الأرمنية الجديدة) و (كوماندوس العدالة الأرمنية) وتولت هذه المنظمات تنفيذ العمليات المسلحة ضد البعثات الدبلوماسية التركية في شتى عواصم العالم، والتي أسفرت عن اغتيال العديد من الدبلوماسيين الأتراك وأفراد أسرهم، حيث نفذ الأرمن أولى عملياتهم في 23 من أيلول 1973 عند قيامهم باحتجاز رهائن في القنصلية التركية بباريس وقتل اثنين منهم، كما قاموا بعمليات مماثلة في مطار أورلي أسفرت عن مقتل ستة مسافرين وجرح نحو خمسون منهم عام 1983، [29] فضلا عن محاولة هذه المنظمات تنفيذ عمليه انتقامية مسلحة ضد أعضاء البعثة الدبلوماسية التركية في العاصمة بيروت عام 1990. [30] وعن الأهداف التي توخاها الأرمن من هذه العمليات فقد صرح زعيم الجيش السري الأرمني–أسالا عام 1981 بقوله: " اننا نناضل من أجل استعادة أرضنا الموزعة بين الاتحاد السوفيتي وتركيا وايران، كذلك الحصول من المجموعة الدولية على الاعتراف بعملية الابادة ". [31]

ومن جهتهم، وصف الأتراك هذه العمليات بالارهاب ورفضوا الاعتراف بشئ اسمه القضية الأرمنية، وعن توقيت قيام هذه العمليات المسلحة ضد تركيا، علل الرئيس التركي السابق كنعان ايفرين بحديث له في احدى المجلات الفرنسية قائلا: " ان القضية الأرمنية موضوع مصطنع من اختراع بعض الاسواق الارهابية الدولية في سبيل تفجير بلادي ... ان بعض الأرمن الذين يعيشون خارج تركيا صاروا أدوات الارهاب الدولي، وقبل تسلم

العسكريين السلطة في 12 /1980/9 حاولت الحركات الأرمنية الافادة من أوضاع الفوضى التي سادت بلادنا. " [32]

2. الأسلوب السياسي

حظي النشاط الارمني في هذا المجال برعاية من الغرب من أجل كسب أصوات الأقلية الأرمنية في الانتخابات التي تجري هناك. [33] ومن جانبهم فقد حرص الأرمن على تكثيف نشاطهم في أوربا لغرض التأثير على المساعدات الاقتصادية والمالية التي تحصل عليها تركيا من جهة ولكون الجاليات الأرمنية هناك تشكل ثقلا اقتصاديا وماليا مهما من جهة أخرى بحيث تستطيع التأثير في مراكز صنع القرار السياسي الخارجي[34]. ومهما يكن من أمر، فقد توج النشاط السياسي للأرمن في المؤتمر الثاني للجاليات الأرمنية الذي عقد في لوزان 21 من تموز 1983 في اطار التحرك الأرمني لأنشاء منظمة سياسية تمثل الارمن في العالم كخطوة على طريق اقامة دولة ارمينيا المستقلة،وقد جاء عقد هذا المؤتمر بنفس المكان والزمان الذي وقعت فيه معاهدة لوزان التي اعترف الغرب فيها قبل ستين سنة من ذلك التاريخ بالسيادة التركية على أرمينيا والأناضول، ومن أهم التوصيات التي توصل اليها هذا المؤتمر: تحميل تركيا مسؤولية ارتكاب عمليات الابادة التي تعرض لها الأرمن منذ عام 1895، ودفع تركيا تعويضات عن تلك المذابح. [35]

الموقف الفرنسي من المسألة الأرمنية

تعد فرنسا من أكثر الدول الأوربية تعاطفا مع طموحات الأرمن، بسبب تزايد حجم الجالية الأرمنية فيها اذ يتراوح عدد السكان الأرمن هناك مابين 350 ألف–500 ألف يتمركزون في مدينة مرسيليا والعاصمة باريس وأطرافها وباقي أقاليم فرنسا بما ينعكس على تزايد نشاط اللوبي الأرمني وتأثيره على صناعة القرار الفرنسي. [36] لذلك فقد شرعت فرنسا بتقديم دعمها المادي والمعنوي للمنظمات الأرمنية خاصة منظمة اسالا التي تمتلك قواعد مهمة لها في فرنسا، كما أقيم في فرنسا نصباً للأرمن في مرسيليا عام 1980 تخليداً لذكرى مذبحة عام 1915، فضلا عن تنافس المرشحين لمنصب الرئاسة في فرنسا على كيفية ارضاء هذه الأقلية من أجل كسب أصواتهم كما حدث في الانتخابات الفرنسية عام 1981،هذاوقد سبق للرئيس الفرنسي فاليري جيسكار ديستان ان أعلن مساندته للمطالب الأرمنية وتحقيق ارادتهم، كما سبق للرئيس فرانسوا ميتران أن وعد الأقلية الأرمنية بالحصول على مقعد لهم بالأمم المتحدة في حالة فوزه في الانتخابات

الرئاسية. [37] هذا ومن الجدير بالذكر فانه وفي وقت لاحق على حادث السفارة التركية بباريس، فقد طالب وزير خارجية فرنسا (كلود شيسون) الحكومة التركية بضرورة الاعتراف بتاريخية المجازر التي ارتكبها الأتراك بحق الأرمن.[38] وأثر اندلاع الصراع بين أرمينيا واذربيجان في أعقاب انهيار الاتحاد السوفيتي أواخر عام 1991، خاصةً في آذار عام 1992 وانحياز تركيا الى جانب أذربيجان ضد أرمينيا، بدأت فرنسا تبحث عن دور اقليمي لها في القفقاص مستغلة فرصة غياب الاتحاد السوفيتي حيث بادرت بوضع خطة وقائية للحفاظ على السلام ووقت القتال في ناغور نوكرباخ. [39]

تجددت المساندة الفرنسية للطروحات الأرمنية مع اقتراب موعد الانتخابات البلدية في فرنسا في آذار 2001 واجراء الانتخابات العامة أواخر العام نفسه والتي تعقبها انتخابات الرئاسة الفرنسية عام 2002، وهنا يشير الكاتب التركي خالد كاكنج في صحيفة ستار Star ان هناك حوالي خمسين صوتاً مؤيداً للقضية الأرمنية في البرلمان الفرنسي الذي يتكون بالأصل من 577 عضواً أي بنسبة 11/1. [40] وعلى الرغم من هذه النسبة فقد شهدت العاصمة باريس حملة واسعة لجمع التواقيع من أجل رفع المسألة الأرمنية الى البرلمان الفرنسي، [41] هذا القرار حظي بمصادقة الرئيس الفرنسي جاك شيراك وتم نشره في الصحف الفرنسية.[43] اعقب ذلك تشييد نصب تذكاري في العاصمة باريس [44] على غرار النصب المشيد في مرسيليا عام 1980.

ردود الأفعال التركية أزاء الموقف الفرنسي

قبل ايام من مصادقة الحكومة الفرنسية على قانون ادانة مذابح الأرمن، قام رئيس الحكومة التركية بولند أجاويد باستدعاء السفير الفرنسي في أنقرة (برناردكاريسا) وحمله رسالة شديدة اللهجة تضمنت ضلوع الحكومة الفرنسية في اساءة علاقاتها مع أنقرة بسبب تبنيها ودعمها للمطالب الأرمنية. [45] وعندما تأكدت النوايا الفرنسية لدى أنقرة أصاب الأتراك خيبة أمل كبيرة سواء على المستوى الرسمي أو الشعبي، فعلى صعيد العلاقات بين الدولتين، أعلن الرئيس التركي أحمد نجدة سيزر رئيس حكومته عن أسفهم الشديد تجاه الموقف الفرنسي، [46] وقامت الحكومة التركية باصدار بيان من أربعة بنود أكدت فيه على

أن الموقف الفرنسي قد وجه ضربة عنيفة للعلاقات التركية–الفرنسية، وأهم ما تضمنته هذه البنود:

1. لابد لمجلس الشعب الفرنسي وهو يصادق على هذا القانون ان يأخذ بنظر الاعتبار العلاقات الفرنسية–التركية من جهة وحالة الاستقرار السياسي والرأي العام التركي وتأثير هذا القانون على الأمن الداخلي التركي.
2. هذا الموقف وجه ضربة قوية للعلاقات التركية–الفرنسية التي تمتد لمئات السنين.
3. تتحمل الحكومة الفرنسية كل التبعات المترتبة على تبني هذا القانون.
4. تتحفظ الحكومة التركية على هذا النمط من التعامل الذي يضع العلاقات التركية–الفرنسية في نقطة حرجة.[47]

وفي المجلس الوطني التركي الكبير ظهرت ردود أفعال مناهضة للموقف الفرنسي خاصةً بين صفوف حزب الفضيلة FP المعارض، حيث بادر ممثل الحزب في المجلس (محمود كوك صو) وبدعم 43 نائبا الى طرح قانون ادانة المذابح الفرنسية في الجزائر، وأشار كوك صو الى ان لفرنسا تاريخ حافل بالفضائح التي ارتكبتها في المستعمرات التي كانت تسيطر عليها في شمال أفريقيا وفي سوريا وأشار على وجه التحديد الى السياسة الاستعمارية التي مارسها الفرنسيون منذ احتلالهم الجزائر عام 1830 والتي استمرت قرابة 150 سنة اتسمت بطابع استعماري بحت تضمن كل أشكال القتل والتعذيب وخاصة أزاء المسلمين هناك حيث ذهب ضحية هذه السياسة قرابة المليون شهيد، هذا وقد تضمنت لائحة كوك صو في ادانة فرنسا 3 بنود وهي:

1. قبول تركيا بشكل واضح لقانون ادانة المذابح الفرنسية في الجزائر.
2. يكون هذا القانون سار المفعول من تاريخ نشره في المطبوعات الرسمية.
3. تكون أحكام هذا القانون سارية على جميع الوزارات التركية. [48]

جاءت ردود أفعال الشارع التركي منسجمة مع موقف الحكومة التركية، فقد قامت الأحزاب والمنظمات الجماهيرية بتنظيم مسيرات احتجاج في مختلف المدن التركية رداً على قرار الحكومة الفرنسية، فقد شهدت مدينة وان تظاهرة شارك فيها أكثر من سبعة آلاف شخص طافت شوارع المدينة، قام خلالها المتظاهرون بانزال العلم الفرنسي واطلاق شعارات مناهضة لفرنسا. [49] وفي استنبول أعلنت مختلف التنظيمات الحزبية والشعبية احتجاجها على القرار الفرنسي وأمام مبنى القنصلية الفرنسية بمنطقة التقسيم.[50] كما شملت ردود الأفعال هذه شبكات المعلومات الدولية والبريد السريع اذ قام الأتراك

المغتربين في ألمانيا والولايات المتحدة الاميركية باعلان تأييدهم ودعمهم لاخوانهم في تركيا.[51]

وبدورها فقد أدلت الصحف التركية اهتمامها بأبعاد القرار الفرنسي وأسبابه وانتقاده، فصحيفة المراقبGÖZCü وعلى صفحاتها الأولى أشارت الى دور اللوبي الأرمني في محاولة التأثير على الحكومات الغربية ودفعها لتبني قراراً يدين الأتراك بمذابح الأرمن، وقالت الصحيفة أن موقف فرنسا هذا انما هو من أجل 400 ألف أرمني وهي بذلك تقدم خدمة تاريخية للأرمن بتبني أكذوبة ضد الأتراك، كما ركزت الصحيفة على انحياز الحكومة الفرنسية وتعاطفها مع الأرمن قد تجسد أيضاً وبدون وازع للخجل بنصب تذكاري في العاصمة باريس يخلد ذكرى مذابح الأرمن. [52] أما أبرز كتاب الصحيفة (نورتول التوغ) فقد وصف الموقف الفرنسي بـ (قلة الحياء Utan mazlik) الذي كان عنوان مقالته التي تضمنت ابعاد القرار الفرنسي ضد تركيا وأشار الى محاولة فرنسا احراج تركيا أمام المجتمع الدولي ووضعها في موقف لاتحسد عليه في أوربا من خلال تبني فكرة مذابح الأرمن وفتح جبهة جديدة ضد تركيا. كما أشار الكاتب الى سعي أوربا وبشكل دائم الى خلق المشاكل لتركيا منذ تأسيس الجمهورية بدأً بمشكلة الأرمن وانتهاءً بحزب العمال الكردستاني .p.kkوتقديم الدعم للأخير من أجل زعزعة الاستقرار السياسي لتركيا. [53] في حين وصف الكاتب المحلل السياسي لصحيفة المراقب (رحمي طوران) الموقف الفرنسي بـ (الحماقة الفرنسية Fransiz aptalliği عندما أشار الى اهتمام الفرنسيين بمذابح الأرمن متناسين تاريخهم الأسود عندما استعمروا الجزائر وفيتنام. [54] كما ركزت الصحيفة في معرض اهتمامها بالموقف الفرنسي على ردود الأفعال الفرنسية المعاكسة، فقد نقلت الصحيفة تصريحاً للسفير الفرنسي السابق في أنقرة (اريك رولاو) عندما قال: " ان البرلمان الفرنسي ارتكب خطأً كبيراً في اقدامه على تصديق قانون مذابح الأرمن، وبذلك عرض العلاقات الفرنسية–التركية للخطر"[55].

أما في صحيفة ستار Star ، فقد تنوعت المواضيع التي عالجت الموقف الفرنسي، فالكاتب (اوميد أصلان باي) أكد على التقارب العقائدي بين الأرمن والفرنسيين وارجع الموقف على أنه صراع بين المسلمين والمسيحيين. [56] في حين تسأل (حقان

تارتان) في مقالته المعنونة (انعكاسات من فرنسا) " مالذي جنته فرنسا بموقفها هذا، فاليوم ينظر العالم بأجمعه الى الأتراك على أنهم قتلة " وأشار تارتان " يجب علينا نحن الأتراك منذ الآن ان نعيد النظر في علاقاتنا السياسية والاقتصادية ليس مع فرنسا فحسب " واكد على " ان الأتراك سوف لن ينسوا الموقف الفرنسي هذا ". [57] أما الكاتب والمحلل السياسي خالد كالنج، فقد أبرز دور الجالية الأرمنية في عملية صنع القرار مشيراً الى دور هذه الجالية وسعيها لتعريف الشباب الفرنسي بجذور قضيتهم والا فليس لفرنسا علاقة لامن قريب ولامن بعيد بمسألة مذابح الأرمن.[58] كما أكدت مقالات الصحيفة على خطورة الموقف الفرنسي وانعكاساته على المصالح الاقتصادية الفرنسية في تركيا. [59]

أما صحيفة مليت Milliyet، فقد ركزت على السجل الاجرامي في تاريخ الاستعمار الفرنسي لغرب أفريقيا والجزائر [60]، وذهب المحلل السياسي في مليت (يالجين دوغان) الى استعراض مخاطر القرار الفرنسي على المصالح الاقتصادية الفرنسية في تركيا، مشيراً الى أن صانع القرار التركي يجب أن يأخذ هذه المسألة بعين الاعتبار في رسم السياسة التركية أزاء فرنسا. [61]

وفي صحيفة العقد Akit فقد تمثلت ردود الأفعال بمقالة الكاتب (حسين اوزمير) المعنونة " اطلاع الحكومة بمقاطعة فرنسا " حيث تسأل الكاتب عن طبيعة ردود الأفعال التركية أزاء الموقف الفرنسي والتي لايمكن أن تكون الا من خلال المقاطعة الثقافية والاقتصادية وفرض الحظر السياسي على العلاقات مع فرنسا. [62]

في حين أشار الكاتب (محمد علي بيراند) في صحيفة بوستا Posta ، في مقالة له الى ان الأسباب التي تكمن وراء اصرار الأرمن على ادانة الأتراك وسعيهم الحثيث لدى الحكومات الغربية لتحقيق هذا الهدف، هو بسبب التدهور الاقتصادي الذي تعاني منه أرمينيا بعد استقلالها ومحاولة معالجة هذا التدهور بالحصول على تعويضات مالية من تركيا.[63]

انعكاسات الموقف الفرنسي على المصالح الاقتصادية الفرنسية في تركيا

تشير الاحصائيات الأخيرة أن هناك مايقرب من 220 شركة فرنسية تعمل في مختلف مجالات الحياة في تركيا وحسب احصائيات عام 2000، فقد بلغت قيمة الصادرات التركية الى فرنسا 2 مليار و800 مليون دولار، فيما بلغت قيمة الواردات الفرنسية الى

تركيا مليار و 400 مليون دولار، فضلا عن رغبة فرنسا في تطوير تعاونها العسكري مع تركيا خاصةً في مجال التسليح. (64)

لما تقدم فان الموقف الفرنسي قد انعكس سلباً على المصالح الفرنسية في تركيا، وجعل الشركات الفرنسية العامة في تركيا تعيش حالة من الذعر والقلق، (65) ومايؤكد هذا الاتجاه تصريح وزير الدفاع التركي صباح الدين الجقمان أوغلو بأن حكومته قد أوقفت احالة مشروع تطوير 250 دبابة تركيا لفرنسا فضلاً عن الغاء احالة مشروع للاتصالات بقيمة 149 مليون دولار الى الشركات الفرنسية. (66)

وعلى مستوى التنظيمات الشعبية، فقد اتخذ رجال الأعمال في أنقرة قراراً بايقاف تعاملاتهم التجارية مع الشركات الفرنسية، وقد قوبل هذا القرار باسناد من الحكومة التركية اذ أعلن رئيس الوزراء أجاويد استعداد حكومته في تهيئة البدائل اللازمة التي تحول دون الاضرار بمصالح رجال الأعمال الأتراك. (67) كما أعلن أعضاء جمعية رجال الأعمال والصناعة في أنقرة ASIAD قرارهم المشابه وخاصةً فيما يتعلق بمجال الصناعات الأساسية والثانوية والمواد الخام ومقاطعة الصناعة الفرنسية.(68)

اجراءات المقاطعة في داخل تركيا كان لها صدى لدى الجمعيات والجاليات التركية وخاصةً في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث اتخذ هذه الجمعيات العديد من الاجراءات التي تدعم موقف بلادهم منها:

1. ايقاف التعامل مع شركات السيارات الفرنسية مثل شركة elf و شركة Totalوشركات انتاج زيوت السيارات ومحطات الوقود الفرنسية.
2. العزوف عن السفر الى فرنسا لقضاء عطلة عيد الأضحى المبارك.
3. مقاطعة المطاعم الفرنسية.
4. مقاطعة شركات الطيران الفرنسية.
5. مقاطعة المحال التجارية والعزوف عن شراء مواد التجميل الفرنسية.(69)

الخاتمة

ظهرت المسألة الأرمنية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر برعاية من الدول الأوربية التي حاولت استثمار هذه المسألة وتوظيفها لتحقيق مآربها في الدولة العثمانية، فكانت روسيا في مقدمة دول أوربا دعماً واسناداً في اثارة الأرمن ضد العثمانيين، ومثلت الحرب العالمية الأولى فرصة سانحة للأرمن من أجل تحقيق مطاليبهم التي تتلخص في الاستقلال عن الحكم العثماني وكانت الخسائر التي قدموها ثمناً لأحلامهم قد ذهبت ادراج تسويات مابعد الحرب. غير أن المسألة الأرمنية مالبثت أن استعادت صحوتها بعد سكون دام قرابة نصف قرن.

شكلت القضية الأرمنية أحد هواجس السياسة التركية على الصعيدين الداخلي والخارجي منذ بداية عقد السبعينات من القرن الماضي، وتميزت فرنسا بين دول أوربا في رعاية المطالب الأرمنية من خلال تقديم الدعم والاسناد المادي والمعنوي للمطالب الأرمنية تحت تأثير اللوبي الأرمني والجالية الأرمنية في فرنسا، اذ قامت الأخيرة في أواخر كانون الثاني عام 2001 باصدار قرار رسمي بدعم المطالب الأرمنية في ادانة الأتراك بالمذابح التي تعرضت لها الأرمن.

الموقف الفرنسي هذا أساء للعلاقات بين تركيا وفرنسا، وأخذت الصحف التركية تدين فرنسا كما أخذ الكتاب والسياسيون الأتراك يذكرون الفرنسيين بتاريخهم الاستعماري والجرائم التي ارتكبوها بحق الشعوب التي سيطروا عليها خاصةً تلك التي تتعلق بالسياسة الفرنسية في الجزائر.

وبدوره فقد انعكس الموقف الفرنسي على المصالح الفرنسية داخل وخارج تركيا، وبدأت الصحف التركية تنبه الحكومة الى ضرورة قطع علاقاتها الاقتصادية مع فرنسا، وقد تجسد هذا الاتجاه باجراء حكومي ومن خلال العديد من الترتيبات التي اتخذت من قبل المنظمات غير الرسمية.

ويبقى الأتراك متسائلين حول الفوائد التي يمكن أن تجنيها فرنسا من موقفها، خاصة وان تركيا تستعد خلال السنوات القادمة للانضمام الى الاتحاد الأوربي. ان التطورات اللاحقة التي ستشهدها العلاقات التركية–الفرنسية كفيلة بتفسير دهشة الأتراك.

French Attitude Regarding: Armenian Question

In View Of Turkish Press

Jamal Kamal Kirkukly*

Abstract

Since the later of 19 century, The Turkish diplomacy is facing unnatural Position dealing with foreign relations represented by the ambitions Armenians to rebirth. Many of European states come together with. this question for many reasons and transformed to be pressing problem on the way for Turkey tries to join the E.U. This study deal with the nature of French situation about this problem and its reflections upon Turkish–France Relations.

الهوامش والمصادر

(1) ظهرت أرمينيا كجمهورية مستقلة أعقاب تفكك الاتحاد السوفيتي أواخر عام 1991 مكونة من عدة محافظات فضلا عن عشرات الأقضية والنواحي وعاصمتها يريفان Yerevan. مساحتها الكلية تبلغ 506 و11 كم2 تجاورها من الشمال جمهورية جورجيا ومن الشرق جمهورية أذربيجان والى الجنوب والجنوب الغربي منها، يمثل الارمن غالبية سكانها البالغ عددهم 234و409و3 نسمة حسب إحصائيات عام 1999،كما توجد نسبة منهم في الدول المجاورة كأيران وتركيا واليونان وسوريا ولبنان والعراق.

Encarta Geography, CD-ROM Microsoft Corporation 2002.

(2) للمزيد من التفاصيل بول أميل، تاريخ أرمينيا، ترجمة: شكري علاوي، (بيروت، د. ت)، ص ص6 ومابعدها؛

Sadi: koçaş, tarih Boyunca Ermeniler ve Türk–Ermeni İlişkileri, 2 ci Basım, (Ankar, 1967), SS. 18. V. d.

(3) ينظر: اميل، المصدر السابق، ص ص 34–39.

* **Lecturer, College of Political Science, Mosul University.**

(4) koçaş, ayni eser, SS. 54 v.d ; Mim kemāl Õke, The Armenian Question 1914–1923, (Oxford, 1988), PP.79–80.

(5) أورخان محمد علي، السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عهده، ط 1، (الرمادي، 1987)، ص ص 34، 36.

(6) عوني عبد الرحمن السبعاوي، " تركيا والقضية الأرمنية "، في عبد الجبار عبد مصطفى النعيمي وآخرون، جمهوريات آسيا الوسطى وقفقاسيا الجذور التاريخية والعلاقات الاقليمية، (الموصل، 1993)، ص 134.

(7) Õke, opcit, PP. 86 –88. ; السبعاوي، المصدر السابق، ص 135.

(8) باسيل دقاق، تركيا بين جبارين، ط1، (بيروت، 1947)، ص ص 17–18؛ Õke, opcit, pp. 89-90.

(9) Ipid, p. 90.

(10) اميل، المصدر السابق، ص44.

(11) Õke, opcit, PP. 90–92.

(12) yusuf Hikmet Bayur, Türk İnkılάbı Tarihi, cilt 2, Kısım 3, 2 ci Basım, (Ankara, 1983), S. 19.

(13) السبعاوي، المصدر السابق، ص 138.

(14) المصدر نفسه، ص 139.

(15) Bayur, ayni eser, cilt 3, kısım 3, S. 3.

(16) A.g. e, S. 6.

(17) A.g. e, S. 8.

(18) السبعاوي، المصدر السابق، ص 140.

(19) ينظر على سبيل المثال لاالحصر: جورج لنشوفيسكي، الشرق الأوسط في الشؤون العالمية، ج1، ترجمة: جعفر الخياط، مراجعة: محمود الأمين وابراهيم أحمد السامرائي (بغداد، 1959)، ص 77؛ السبعاوي، المصدر السابق، ص 140.

(20) حنا عزو بهنان، التطورات السياسية في تركيا 1919–1923، رسالة ماجستير قدمت الى كلية الآداب بجامعة بغداد 1989 ، ص 12.

(21) Koçaş, ayni eser, S. 170.

(22) Õke, op. cit, p. 138.

(23) حنا عزو بهنان " القضية الأرمنية في الدولة العثمانية أواخر القرن التاسع عشر وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى "، بحث غير منشور في أرشيف مركز الدراسات التركية في اضبارة 76، ص17.

(24) محمد عزة دروزة، تركيا الحديثة، (بيروت، 1946)، ص ص 11–41.

(25) لنشوفسكي، المصدر السابق، ص ص 139–148.

(26) Kάzım Kara bekir, İstiklál Harbimiz, Savaş cilteri, (İstanbul, 1988), SS. 859 v.d.

(27) دروزة، المصدر السابق، ص 58؛ وكذلك: Õke, op. cit, pp. 215–219.

(28) احسان محمد الحسن، " القلق الاجتماعي في تركيا "، ندوة الشؤون التركية، معهد الدراسات الآسيوية والأفريقية بالجامعة المستنصرية، سلسلة الدراسات التركية رقم (7)، (بغداد، 1984)، ص 25.
(29) المصدر نفسه، ص 25؛ السبعاوي، المصدر السابق، ص ص 141–142.
(30) Hürriyet gazetesi, 24 Şubat 1990, S. 13.
(31) السبعاوي، المصدر السابق، ص 142.
(32) المصدر نفسه، ص 142.
(33) المصدر نفسه، ص 142.
(34) طلال يونس الجليلي، " ناغورنوكارباخ في التنافس والنزاع والمتغيرات الدولية "، في عبد الجبار عبد مصطفى النعيمي وآخرون، المصدر السابق، ص 164.
(35) السبعاوي، المصدر السابق، ص 144.
(36) Halit kakınç, " Sakın Olalım" Star gazetesi, 21 ocak 2001, S.3.
(37) السبعاوي، المصدر السابق، ص 143.
(38) المصدر نفسه، ص 143.
(39) الجليلي، المصدر السابق، ص 178.
(40) Kakınç, ayni eser, S. 3.
(41) Yalçın Doğan, " Fransız firmaları İmza Peşinde", Milliyet gazetesi, 25 ocak 2001, S. 11.
(42) Gõzcü gazetesi, 13 ocak 2001, SS. 2,6.
(43) A.g. e, S.1.
(44) A.g.e, S. 2.
(45) Star gazetesi, 18 ocak 2001, S. 11.
(46) Gõzcü, ayni eser, S. 6.
(47) "Hükümet' ten Fransa' ya Sert Tepki" Gõzcü, ayni eser, S. 6.
(48) "FP' den Cezayir Soykırımı Kanunu Teklifi", Akit gazetesi, 24 Ocak 2001, S.10.
(49) Posta gazetesi, 4 Şubat 2001, S. 13.
(50) "Boykot Dalgası" Star gazetesi, 21 ocak 2001, S.8.
(51) A. g. e. S.8.
(52) Gõzcü, ayni eser, S. 2.
(53) Nurtul Altuğ," Utanmazlık", Gõzcü, ayni eser, S. 6.
(54) Rahmi Turan, " Fransız aptallığı" Gõzcü, ayni eser, S. 1.
(55) Gõzcü, ayni eser, S. 2.
(56) Ümit Aslan Bay, " Nasıl Geçirdik ?", Star gazetesi, 28 ocak 2001, S. 11.

(57) Hakan Tartan, " Fransa'dan Yansıyanlar", Star gazetesi, 21 ocak 2001, S.12.
(58) Kakınç, ayni eser, S. 3.
(59) "Fransa'ya Ekonomik Boykot zo r", Star, ayni eser, S. 7.
(60) Milliyet gazetesi, 25 Ocak 2001, S. 17.
(61) Doğan, ayni eser, S. 11.
(62) Hüseyin Üzmez, " İktidarın Fransa'yı Boykot Palavrası," Akit gazetesi, ayni eser, S. 9.
(63) Mehmet Ali Birand, " Vurulmaktan korktuk Oysa.. (3)," Posta gazetesi, ayni eser, S. 13.
(64) Doğan, ayni eser, S. 11.
(65) A. g. e., S. 11.
(66) "Fransa'ya İlk ciddi Tavır", Akit gazetesi, ayni eser, S. 1.
(67) "Boykot Dalgası", ayni eser, S. 8.
(68) A. g. e. S. 8.
(69) "ABD' EKİ Türkler Boykot Listesi Hazırladı", Star gazetesi, ayni eser, S. 8.